المحاضرة 6 **أ.حساين**

ميلاد علم الاجتماع

تمهيد:

إن الدارس لعلم التاريخ الاجتماعي يرى أن مقدمة ابن خلدون عالجت عدد كبير من المشكلات والقضايا الاجتماعية التي لازالت تعالج في ظل علم الاجتماع الحديث، غير أن أعمال ابن خلدون لم يكتب لها الاستمرار والاتصال، وهذا راجع إلى سقوط الحضارة العربية الإسلامية وازدهار الحضارة الغربية، مع وجود الحاجز اللغوي والثقافي الذي جعل من المفكرين الغرب لا يتعرفون مبكرا على انجازات ابن خلدون، ولذلك فإن ميلاد علم الاجتماع في الغرب كان مستقلا عن نشأته في الشرق.

ولهذا لا يمكن أن نقول أن علم الاجتماع ظهر كعلم مستقل عن طريق الصدفة بل هيأت له عدة ظروف، دينية، فكرية، اقتصادية، سياسية ، حيث يعتبر آخر علم ينفصل عن الفلسفة وكان ذلك في القرن 19م ولكن السؤال المطروح ما هي العوامل التي ساهمت في نشأة علم الاجتماع؟

1-الظروف الممهدة لميلاد علم الاجتماع

لقد شهد القرن 16م انهيار الكنيسة الكاثوليكية بتأثير الثورة البروتستانتية.على يد مارتان لوثر فكان هذا الحدث أول عامل في تحرر الفرد من قيود الكنيسة؛إذن التحرر الديني، ثم في القرن 17م ظهرت إصلاحات فكرية حيث حدث تغيير كبير في نظرة البشرية لمحيطها وبدأ التفكير العقلاني والنقدي لاكتساب المعرفة يحل محل التفسيرات التقليدية ومن أهم المفكرين الذين ظهروا في هذه المرحلة غاليليو Galileo في إيطاليا (عالم فلكي وفلسفي، وفيزيائي طبيب ودرس الرياضيات كانت له عدة اكتشافات والتي أزعجت الكنيسة الكاثوليكية فحُكم عليه بأن يمكث في بيته حتى الموت)، وديسكارتDescartes في فرنسا (هو صاحب مذهب العقلانية كان عالما في الرياضيات فضلا

عن الفلسفة وأسهم إسهاما كبيرا في هذه العلوم وهو صاحب مقولة " أنا أفكر إذا أنا موجود")، والعالم فرانسيس بيكون F.Bacon في بريطانيا (فيلسوف وسياسي وقاضي وكاتب بريطاني عرف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على الملاحظة والتجريب واعتمد على المنهج الاستقرائي)، فكان القرن 17م بداية تحرر الفكر من التفسيرات التقليدية اللاهوتية، ثم جاء عصر الأنوار.

2-عصر الأنوار:

ظهر في القرن 18 م ما يسمى بعصر الإستينار أو عصر طلوع النهار، أما في الاصطلاح هو العصر الذي ظهر فيه الفلسفة والأدب، فقد شهدت أوروبا تطورات كبيرة من الناحية العلمية والفكرية ناهضت به الفكر اللاهوتي الكنيسي، وظهر في هذا العصر جماعة من المفكرين أطلق عليهم فلاسفة الأنوار دافعوا عن مفاهيم فلسفية واجتماعية منها الحرية والمساواة والعدالة وأبرز مفهوم دافعوا عنه هو مفهوم التقدم ومن أعلام هذا العصر:مونتسكيو صاحب كتاب "روح القوانين" إذ شرح فيه الفرق بين ثلاثة أنواع من أنظمة الحكم

الملكية.:يرث الحاكم فيه السلطة.

الديكتاتورية: يحكم الحاكم فيه وحده دون حدود قانونية ويثبت حكمه بواسطة إرهاب المدنين

الجمهورية: نظام يحكم فيه الشعب أو ممثلوه

يرى مونتسكيو أن نظام الحكم الأمثل هو النظام الجمهوري، ورأى أن النظام الذي يضمن حرية الإنسان هو النظام الذي يفضله الجميع، ومن أجل ذلك يجب الفصل بين السلطات والحفاظ على التوازن بينها

السلطة التنفيذية

السلطة التشريعية

السلطة القضائية

حصلت نظرية مونتسكيو على العديد من المؤيدين في أوروبا وأثرت مبادئها على دستور الولايات المتحدة الأمريكية،**إعلان حقوق الإنسان والمواطن**وعلى دساتير العديد من الأنظمة الديمقراطية في عصرنا.

ثم ظهرت فئة الموسوعيين منهم ديدورDiderot(ملاحظة:ظهرالموسوعيون عندنا في العالم العربي ابن منظور لسان العرب في القرن 13م)وهو صاحب مقولة " **الثورة يخطط لها العلماء وينفذها المجانين ويستفيد منها الجبناء** "، كما ظهر في هذه الفترة أصحاب نظريات العقد الاجتماعي "توماس هوبز، جون لوك، جون جاك روسو "لقد قدمت نظريات العقد الاجتماعي مجموعة من الأسس والالتزامات الأخلاقية التي تكون مشتركة بين مجموعة من الأفراد كي يشكلون المجتمع الذي يعيشون فيه، بحيث تكون هذه الالتزامات ضمن اتفاق بين هؤلاء الأشخاص. كما اتفقت هذه النظريات على أن الدولة حتمية تاريخية لتطور المجتمع من حيث أن الدولة هي أسرة تطورت بشكل تدريجي لبناء المجتمع، كما أن العائلة تعتبر البداية الأولى لظهور الحكومة، كما أن التطور التاريخي يرى أن الدولة ظاهرة اجتماعية لا يمكن ردّ نشأتها إلى عامل واحد، وإنما يعتمد على عدّة عوامل مثل القوة، والدهاء والدين والحكمة والمال والشعور بالمصالح المشتركة التي تربط أفراد الجماعة ببعضهم البعض، كل هذا هو الذي أوجد الدولة بأشكال مختلف فقد حققت هذه النظريات فوائد كثيرة للمجتمع الأوروبي أهمها:

1- وقفت في وجه الحكم المطلق
2- أيّدت حقوق الشعب
3- وضعت حدا لطغيان الطبقة الحاكمة والنبلاء
4- يبقى لها الفضل في تقديم أساس إيديولوجي لقيام السلطة
5- القضاء على الاستبداد
6- رفض أفكار القانون الإلهي المقدس والتصورات الدينية عن العبودية

7-وأخيرا رأت هذه النظريات أن نشأة المجتمع عبارة عن بناء من الالتزامات التعاقدية والعلاقات الاجتماعية.

3-الثورة الفرنسية والثورة البريطانية الصناعية:

يقول علماء الاجتماع: أن علم الاجتماع هو وليد الثورتين فالثورة الفرنسية ثورة سياسية وعسكرية، فقد كانت الثورة الفرنسية سببا في إطاحة المؤسسات القديمة للمجتمع وتبنت مفاهيم جديدة، كما أكدت على حقوق الإنسان وحق المواطنة في علاقتهما المباشرة بالدولة. واللذين ساهموا في تفجير الثورة الفرنسية هم فلاسفة الأنوار حيث حملت هذه الثورة شعارا متمثلا في الأخوة، الحرية، المساواة وفي هذه الثورة تحالفت البرجوازية مع طبقة العمال للقضاء نهائيا على النظام الإقطاعي أي طبقة رجال الدين والنبلاء فانهارت القيم والأفكار الاجتماعية للقرون الوسطى بما فيها إقطاعيات النبلاء واستبدالها بالنظام الاجتماعي العقلاني، والثورة الصناعية هي ثورة اقتصادية وكان لها أثر كبير في التغيرات التي طرأت على المجتمع، فقد ظهر نظام إنتاجي جديد وهو المجتمع الصناعي البورجوازي الذي أدى إلى ظهور أنظمة بيروقراطية اقتصادية تتماشى مع النسق الاقتصادي الرأسمالي، وهذه التغيرات التي طرأت على المجتمع أدت إلى ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية

- ✓ مشكلات المدينة الصناعية: الفقر الازدحام الأحياء القصديرية وغير ذلك
- ✓ اختراع السكك الحديدية، والآلات البخارية، والآلات عموما أدى إلى ظهور مجموعة من المشاكل في وسط طبقة العمال
- ✓ انخفاض الأجور، زيادة ساعات العمل، خروج النساء والأطفال للعمل، انتشار مظاهر البؤس والتخلف

- ✓ مشكلات الطبقة الجديدة " البروليتار" وما آل إليه التغير في التركيب الطبقي "الطبقة البرجوازية الغنية تبحث إلى تكديس الأموال وتخزينها، وطبقة البروليتار العاملة الصناعية المضطهدة الفقيرة"
- ✓ . كما كانت الثورة الصناعية سببا مباشرا وفعّلا في تقدم مناهج العلوم الطبيعية، فاستعان بها الكثير من علماء الاجتماع لدراسة الظواهر الاجتماعية بهدف الوصول إلى نتائج دقيقة ومتطورة لدراساتهم.

لقد أصبح علم الاجتماع علم مستقل بذاته بعد مروره بمجموعة من الأزمات التي شملت مختلف البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمعات، كما كان للمدارس الفكرية والاتجاهات النظرية والتيارات النقدية والراديكالية التي ظهرت في أوروبا دورا فعالا في استقلالية علم الاجتماع.وفي ظل هذا المجتمع الجديد الرأسمالي والصناعي تصور أوغست كونت أن السلطة تكون بيد الوضعيين وعند سان سيمون تكون بيد المنتجين وعند دوركايم تكون بيد المربين.

4–نشوء الطبقة العاملة وتشكل التحقيقات الميدانية:

لقد نشأت في المجتمع الجديد " الرأسمالي "طبقة جديدة تتمثل في الطبقة العاملة وكان ينظر إليها على أنها خطيرة وهي تقوى وتزداد قوة من خلال انتقالها من الأرياف إلى المدن مما يتطلب دراستها لمعرفة وضعيتها المادية والاجتماعية فقامت مجموعة من الاقتصاديين والمؤرخين بدراسة هذه الطبقة العاملة، فقامت مجموعة من الباحثين من بينهم **فريدريك ليبلاي** (كاتب فرنسي واقتصادي) بدراسة الوضعية العامة بجزئيتها وكلياتها ودقائق الأمور واستهدفت دراستهم مجموعة من الأسر المنتمية للطبقة العاملة وأنجزوا تقارير مفادها يؤكدون فيها أن الطبقة العاملة تعيش ظروف اقتصادية واجتماعية مزرية مما يستدعي مساعدتها وتحسين ظروفها وفي المقابل قام **فرديريكإنجلز**(فيلسوف ألماني) في

مصنع منشيستر Manchestaire بتحقيق ميداني واتضح له من خلال معاينته للمصنع أن الطبقة العاملة تعيش ظروف قاسية يتطلب تغيرها.

5-استنتاج عام

والذي يمكن قوله أن علم الاجتماع الغربي باتجاهاته وفروعه النظرية قد تطور استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة انتقال من النظام القديم إلى النظام الجديد[1]

والذي نستخلصهكذلك من خلال الدراسات الميدانية بأن هناك نوعين من علم الاجتماع أحدهما نظري بحث في السلطة ومن يحكمها، وعلم اجتماعي تطبيقي بحث في موضوع الطبقة العاملة كما يجب أن نشير إلى أن التحقيقات الميدانية التي قام بها ليبلاي كانت تخدم الطبقة الرأسمالية، أما إنجلز كانت تخدم الطبقة العاملة (الاشتراكية).

[1]-أسس علم الاجتماع ص71